جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان

كلية العلوم الانسانية و العلوم الاجتماعية

قسم الفلسفة

الثانية ماستر فلسفة عربية اسلامية

الثانية ماستر فلسفة غربية معاصرة

الاستاذة شريقي أنيسة

محاضرة رقم (01): النقد الثقافي تعريفه، أهدافه، نشأته

يشهد الحقل الفلسفي والنقدي المعاصر انعطافاً جذرياً يبتعد عن "الجوهرانية النصية" والاهتمام الحصري بالبنيات الجمالية والشكلية الخالصة، نحو الانخراط في فهم الأنساق المضمرة التي تتحكم في إنتاج المعنى والهيمنة داخل المجتمعات .وفي هذا السياق، يبرز **"النقد الثقافي (Cultural Criticism) "** ليس بوصفه بديلاً تقنياً للنقد الأدبي فحسب، بل باعتباره ممارسة فلسفية ونقدية عابرة للتخصصات(Interdisciplinary) ، تعيد مساءلة مفهوم "الثقافة" ذاته بوصفه فضاءً للصراع الأيديولوجي، وتفكيك العلاقات المعقدة بين المعرفة والسلطة والخطاب.

أولاً: الإطار المفهومي والإبستيمولوجي للنقد الثقافي

يتطلب ضبط مفهوم النقد الثقافي على مستوى سلك الماستر فلسفة تجنب الاختزالات المدرسية، وتفكيكه عبر الأبعاد التالية:

1. **التعريف الفلسفي :** النقد الثقافي هو نسق نظري وممارسة تفكيكية تستهدف رصد **"النسق المضمر (The Implicit Paradigm) "**الكامن خلف الخطابات المهيمنة (سواء كانت أدبية، فلسفية، إعلامية، أو يومية)، وكشف الآليات اللاشعورية أو الأيديولوجية التي توظفها البنى الاجتماعية لتكريس التراتبيات والسلطة.
2. **الفرق الإبستيمولوجي بين النقد الأدبي والنقد الثقافي:**
   - **النقد الأدبي التقليدي :**يتحرك داخل أفق الجماليات، والبلاغة، والبنيات النصية المغلقة، معتبراً النص متصلاً مستقلاً بذاته (كلاسيكية، بنيوية، أسلوبية.(
   - **النقد الثقافي :**ينظر إلى النص باعتباره "وثيقة ثقافية" أو "عرضاً خطابيّاً" يعج بالأنساق المضمرة .وهو لا يقيم فصلاً قيمياً بين ما يُسمى "الثقافة الرفيعة (High Culture) " و"الثقافة الجماهيرية/الشعبية(Pop Culture) "، بل يتعامل مع الكل بوصفها تمثيلات لصراع الإرادات والهيمنة.
3. **مفهوم "النسق" في مواجهة "الجمال :"**إذا كان النقد الأدبي يبحث عن "الجميل" و"المبدع"، فإن النقد الثقافي يبحث عن "المعيبي ثقافياً" أو ما تسميه الدراسات الثقافية بـ "الأعمى نصياً ."إنه ينتقل من بلاغة الجمال إلى **بلاغة النسق**، حيث يصبح السؤال الفلسفي الموجه للنص هو :*ما الذي يضمره هذا الخطاب لكي يمرر هيمنته وينال قبول المجتمع؟*

ثانياً: أهداف النقد الثقافي من منظور فلسفي

لا يكتفي النقد الثقافي بالوصف أو التفسير الأدبي، بل يتبنى غايات نقدية كبرى تتسق مع مهام الفلسفة المعاصرة في تفكيك الوثوقيات:

1. **كشف استراتيجيات الهيمنة :(Power/Knowledge)** استنارةً بطروحات ميشيل فوكو، يهدف النقد الثقافي إلى تعرية الكيفية التي تنتج بها السلطة خطاباتها وتجعلها تبدو كأنها "بديهيات طبيعية" أو "مسلمات مقدسة."
2. **قراءة "اللاقول :(The Unspoken)** "الغوص فيما تستبعده النصوص وتسكوت عنه قصداً لضمان تماسك أيديولوجيتها، وإعادة الاعتبار للمهمشين والمستبعدين من تاريخ الأنساق المهيمنة.
3. **تفكيك المركزيات الكبرى :**مساءلة المركزيات الثقافية، والإثنية، والذكورية، والطبقية، التي تدعي الشمولية والموضوعية المطلقة، وفتح الباب أمام تعددية ثقافية نقدية.
4. **نقد صناعة الثقافة :**تفكيك الآليات الرأسمالية المعاصرة التي تحول الإنتاج الثقافي إلى مجرد سلع استهلاكية تفرغ الوعي النقدي للجماهير.

ثالثاً: الجذور والنشأة والتطور التاريخي

لم يولد النقد الثقافي من فراغ، بل هو ثمرة تراكم فلسفي ونقدي طويل يمكن تتبع محطاته الكبرى كالتالي:

الإرهاصات والطلائع الكبرى مدرسة فرانكفورت ودراسات برمنغهام:مدرسة فرانكفورت :مثلها تيودور أدورنو، وماكس هوركهايمر، والتر بنيامين؛ حيث وجهوا نقداً راديكالياً للحداثة الرأسمالية ومفهوم **"صناعة الثقافة(Culture Industry)** "، مبينين كيف أصبحت الثقافة أداة لتجنيد الوعي وتدجينه.

- **مركز برمنغهام للبحوث الثقافية :(Birmingham School)** تأسيس في المملكة المتحدة (أواخر الخمسينيات) بجهود ريموند ويليامز، وستيوارت هول، وريتشارد هوغارت .ركزت هذه المدرسة على دراسة الثقافة بمعناها الأنثروبولوجي والسياسي، وربط الممارسات الثقافية بالصراعات الطبقية واليومية للطبقة العاملة.

المنعطف الفلسفي ما بعد البنيوية والتفكيك

- لعبت فلسفات ما بعد البنيوية دور المحفز الأكبر لظهور النقد الثقافي؛ حيث تهاوت المركزيات النصية مع **ميشيل فوكو**)مفهوم الحفر المعاصر، السلطة والخطاب)، و**جاك دريدا**)تفكيك الثنائيات الضدية وتقويض اليقينيات الدلالية.(
- على المستوى الجيوسياسي، مثّل كتاب **إدوارد سعيد** *"الاستشراق* (1978) "حدثاً إبستيمولوجياً مؤسساً للنقد الثقافي ما بعد الكولونيالي، كاشفاً التواطؤ العضوي بين الخطاب المعرفي/الأدبي الغربي ومشاريع الهيمنة الإمبريالية.

مسار التلقي والتبلور في الفضاء العربي:

- دخل النقد الثقافي إلى المشهد العربي في أواخر القرن العشرين عبر قنوات الترجمة، والتأثر بمناهج النقد الغربي الحديث.
- يُعد الناقد السعودي **عبد الله الغذامي** من الأعلام البارزين الذين نقلوا هذا الحقل إلى التنظير العربي المباشر عبر كتابه *"النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية*(2000) "، تلاه إسهامات واسعة لباحثين عرب وظفوا أدوات النقد الثقافي في تفكيك التراث، والخطاب الشعري، والسرديات المعاصرة، وإن كانت قد أثارت نقاشات حادة وجدلاً إبستيمولوجياً حول علاقة النقد الثقافي بالنقد الأدبي الأصيل.

يُمثل النقد الثقافي في الراهن الفلسفي والمعرفي أداة لا غنى عنها لطلبة الفلسفة، لأنه ينقل التفكير من مستوى استهلاك النصوص والخطابات إلى مستوى **المساءلة النقدية الراديكالية للأنساق** .إنه يعلمنا أن ما نُعتقد أنه بديهي أو جمالي محض، هو في الواقع حقل صراع تتنازع فيه إرادات الهيمنة والسلطة، مما يجعله المحك الأساسي لليقظة الفكرية المعاصرة.